الإعلام بما في آيتي عمارة المساجد

من التفسير والأحكام

بقلم

الدكتور

نايف بن قبلان بن رفيف بن قسيان السليفي العتيبي

أستاذ مشارك عضو هيئة التدريس

قسم الكتاب والسنة

كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى — مكة المكرمة

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا قيما فبشر به المؤمنين ، وأنذر الكافرين الجاحدين ، والصلاة والسلام على من اختاره الله ، واصطفاه رحمة للعالمين نبينا محمد ، الذى بين للناس ما نزل إليهم من ربهم ، وأوضح لهم ما اشتمل عليه القرآن الكريم من أحكام وحكم ، وأصول وقواعد ، وألطاف وأسرار وقوانين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه ، واتبعوا النور الذى أنزل عليه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وبعـــد :

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامى اعتمد عليه فى صدور أحكامه ، وتشريع قوانينه ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، اشتمل على هداية الخلق أجمعين ، وأرشدهم إلى ما فيه صلاحهم ونفعهم فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى :

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً »(١) .

---

(١) سورة الإسراء آيه ٩ ، ١٠

فهدى عباده المؤمنين إلى الحق والصواب ، وبشرهم على أعمالهم بالأجر العميم وحذرهم سبحانه من مخالفة أمره ، أو نهيه ، وأعد للمخالف عذاباً أليماً .

ومن تلك الهدايات العظيمة والتوجيهات الإلهية الكريمة ما تفضل الله به عز وجل على عباده المؤمنين ، وشرفهم به فأسند إليهم عمارة مساجده الحسية والمعنوية ، وجعل من اختصاصهم دون غيرهم من الناس القيام ببنائها ، وتشييدها ، وترميمها وتنظيفها ، وتزيينها بالفرش على وجه لا يشغل قلب المصلى عن الحضور ، وتنويرها بالسرج ، وإقامة العبادة فيها خالصة لوجه الكريم . والذكر . ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك . وصيانتها مما لم تبن له فى نظر الشارع كحديث الدنيا والإشراف المستمر عليها . ومنع الكافرين من عمارتها مطلقا كبنائها ، وتولى مصالحها . والقيام بها .

ولا شك أن عمارة المساجد مهمة عظيمة ينبغى على المسلمين القيام بها على أكمل وجه وأحسنه حتى ينالوا الأجر من الله العزيز الحكيم فى الدنيا والآخرة .

وقد تأملت هذا الموضوع كثيراً فانشرح له صدرى وعقدت العزم على الكتابة فيه نظراً لأهميته القصوى فى حياة المسلمين أفراداً وجماعات . فوقع اختيارى على آيتى عمارة المساجد من سورة التوبة لعرض أقوال المفسرين فيهما ومناقشتها . وبيان الراجح منها . وبيان ما يستنبط منهما من أحكام .

وسميت هذا البحث : « الإعلام بما فى آيتى عمارة المساجد من التفسير والأحكام » .

هذا وقد اقتضت خطة البحث أن تكون من مقدمة تتضمن أهمية الموضوع . ومنهج البحث فيه . ثم ستة مباحث :

— المبحث الأول : مناسبة الآيتين لما قبلهما .

— المبحث الثانى : بيان سبب النزول .

— المبحث الثالث : شرح المفردات وبيان المراد منها .

— المبحث الرابع : المعنى الإجمالى .

— المبحث الخامس : وجوه البلاغة والإعجاز القرآنى .

— المبحث السادس : ذكر الأحكام الشرعية المستنبطة من الآيتين

وبعد هذه المباحث الخاتمة . ثم الفهارس العلمية الضرورية .

أما منهج البحث فيه فهو على النحو الآتى :

١ — نهجت فى هذا البحث منهج التفسير التحليلى ، وذلك بالتعرض للآيتين من جميع نواحيها : والكشف عن كل مراميها ، فتحدثت عن ألفاظها ، ومعانيها ، والمراد بها ، وأسباب نزولها ، وأوجه البلاغة فيها ، وما ترمى إليه بألفاظها . وتستهدفه بأسلوبها .

٢ — ذكر الأحكام الشرعية المستنبطة من الآيتين مع بيان أقوال العلماء — رحمهم الله تعالى — فى ذلك مع المناقشة وبيان الراجح منها .

٣ — عزو الآيات القرآنية التى تمر فى البحث إلى سورها فى القرآن الكريم .

٤ — تخريج الأحاديث النبوية الواردة فى هذا البحث على النحو الآتى :

(ا) إذا كان الحديث فى الصحيحين، أو فى أحدهما، اكتفيت بعزوه إليهما، أو إلى أحدهما.

(ب) إذا كان الحديث فى غيرهما، عزوته إلى مصدره، مسترشداً بأقوال العلماء — رحمهم الله تعالى — فى الحكم عليه.

٥ — ترجمة الأعلام ترجمة موجزة.

٦ — قمت بعمل الفهارس العلمية الضرورية وهى كما يلى:

١ — فهرس الآيات القرآنية.

٢ — فهرس الأحاديث النبوية.

٣ — فهرس الأعلام.

٤ — فهرس المصادر والمراجع.

٥ — فهرس الموضوعات.

ولا يسعنى فى ختام هذه الكلمة الموجزة إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير — بعد الله تعالى — لجميع مشايخى أهل العلم والفضل، الذين أفدت كثيراً منهم، ومن دروسهم النافعة، وتوجيهاتهم الموفقة، وأخص منهم بالذكر صاحب الفضيلة أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور / عويد بن عياد المطرفى، وصاحب الفضيلة أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور / أمين محمد عطيه باشا، وصاحب الفضيلة أستاذى الجليل الأستاذ الدكتور / جلال الدين إسماعيل عجوه، الأساتذة بالدراسات العليا — قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، فجزاهم الله عنى وعن طلاب العلم خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

هذا وأسأل الله العلى القدير التوفيق، والسداد، والمغفرة، إنه كل شىء قدير.

كتبه الراجى عفو ربه

الدكتور / نايف بن قبلان بن ريف بن قسيان السليفى العتيبى
الأستاذ المشارك وعضو هيئة التدريس
بقسم الكتاب والسنة — كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

حرر فى يوم الجمعة ١٤٢١/١١/٢٩ هـ بمكة المكرمة - شارع الحج - زادها الله شرفاً وأمناً، وحماها من كل سوء ومكروه. إنه سميع مجيب

آيتا عمارة المساجد

قال الله تعالى :

« ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون (١٧) إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (١٨) سورة التوبة

المبحث الأول

المناسبة

تتضح مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما من وجهين :

١ — بدأ الله تعالى سورة التوبة بإعلان براءة الله تعالى ، ورسوله من المشركين بسبب خيانتهم ، وأعطتهم مهلة يتدبرون خلالها أمرهم ، وأمرت المؤمنين بعد هذه المهلة أن يقتلوا المشركين حيث وجدوهم ، ثم ساقت بعد ذلك الأسباب التى دعت إلى البراءة من عهود المشركين ، والحكم التى من أجلها أمر الله بقتالهم ، والتضييق عليهم ، ثم شرعت فى تحريض المؤمنين على مهاجمتهم ، وشجعتهم على قتالهم بأسلوب يثير الحماس فى النفوس ، ويحمل على الإقدام وعدم المبالاة بهم ، ولهذا كله ناسب أن يذكر تعالى بعد البراءة من المشركين ، ونبذ عهودهم ، منع عبادة الشرك من المسجد الحرام ، وإبطال ما كان يدعونه ويفخرون من حق عمارته مع تيئيسهم من الاشتراك فيها ، فبدأت السورة فى اعلان حكم آخر يتعلق بتعمير مساجد الله فبينت أنه يحرم على المشركين أن يعمروا مساجد الله ، وأن المستحق لذلك هم المؤمنون الصادقون فقال تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله »[1] .

(١) سورة التوبة آية ١٧ — ١٨

قال الإمام الفخر الرازى[١] :

« وأعلم أنه تعالى بدأ السورة بذكر البراءة عن الكفار ، وبالغ فى إيجاب ذلك ، وذكر من أنواع فضائحهم ، وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة ثم إنه حكى عنهن شبهاً احتجوا بها فى أن هذه البراءة غير جائزة ، وأنه يجب أن تكون المخالطة والمناصرة حاصلة ، فأولها : ما ذكره فى هذه الآية : وذلك أنهم موصوفون بصفات حميدة ، وخصال مرضية ، وهى توجب مخالطتهم ، ومعاونتهم ، ومناصرتهم ، ومن جملة تلك الصفات كونهم عامرين للمسجد الحرام »[٢] .

وهذه المناسبة بين هاتين الآيتين والآيات التى قبلها من أول السورة إلى هنا كما ذكرها كثير من المفسرين .

٢ — هذا يمكن أن نعقد مناسبة بين هاتين الآيتين ، والآية التى قبلها وذلك أن نقول :

لما حذر الله تعالى المؤمنين فى الآية السابقة ونهاهم أن يتخذوا من المشركين وليجة أى أولياء ، وبطانة منهم يفشون إليهم أسرارهم ، ويداخلونهم فى أمورهم ، شرع بعد ذلك يبين أن هذه الوليجة التى يتخذها

---

(١) هو محمد بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى الفخر الرازى (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) الإمام المفسر العلامة من مؤلفاته (التفسير الكبير) انظر ترجمته فى البداية والنهاية ٥٥/١٣ وطبقات الشافعية للسبكى ٨١/٨ وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٩ وميزان الاعتدال ٣٤٠/٣ والنجوم الزاهرة ١٩٧/٦ والوافى بالوفيات ٢٤٨/٤ ووفيات الأعيان ٣٨١/٣

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ١٥ / ٦ - ٧ وتفسير البحر المحيط لأبى حيان ١٨/٥

بعضهم لا تصلح ولا ينبغى أن تبنى على العاطفة بما اتصفت به من محاسن الأعمال ، لأن هذه الأعمال لم تقم على أساس الإيمان الصحيح ، فجاءت هاتان الآيتان جواباً لسؤال مقدر من الكلام السابق كأن سائلا سأل وقال : إن فيهم من أعمال الخير ما يدعو إلى الكف عنهم ، ومخالطتهم ، وذلك مثل عمارة المسجد الحرام ، وخدمته ، والقيام على أموره ، ونظافته وصيانته واحترامه وتعظيمه فقال تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله .. »[١] .

وقد ذكر هذه المناسبة الإمام البقاعى[٢] حيث قال : « لما حذرهم من اتخاذ وليجة من دونه شرع يبين أو الوليجة التى يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به من محاسن الأعمال ما لم توضع تلك المحاسن على الأساس الذى هو الإيمان المبين بدلائله ، فقال سائقاً له مساق جواب قائل قال : إن فيهم من أفعال الخير ما يدعو إلى الكف عنهم من عمارة المسجد الحرام وخدمته وتعظيمه »[٣] .

---

(١) سورة التوبة آية ١٧

(٢) هو إبراهيم بن عمر البقاعى (٨٠٦ - ٨٨٥ هـ) المحدث المفسر المؤرخ العلامة من مؤلفاته (نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور) انظر ترجمته فى شذرات الذهب ٣٣٩/١٠ - ٣٤٠ والأعلام للزركلى ٥٦/١

(٣) انظر نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ٤٠٠/٨

المبحث الثانى

سبب النزول

قال المفسرون : لما أسر العباس[1] يوم بدر ، أقبل عليه المسلمون فعيروه بكفره بالله ، وقطيعته الرحم ، وأغلظ على[2] له القول ، فقال العباس[1] : مالكم تذكرون مساوينا ولاتذكرون محاسننا ؟ فقال له على[2] : ألكم محاسن ؟ قال : نعم ، إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ، ونسقى الحاج ، ونفك العانى ، فأنزل الله عزوجل ردا على العباس : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله . . الآية »[3] .

---

(١) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم رسول الله — ﷺ — (٥١ ق هـ - ٣٢ هـ) من أكابر قريش فى الجاهلية والإسلام صحابى جليل القدر انظر ترجمته فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ٦٠/٣ والأعلام للزركلى ٢٦٢/٣

(٢) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ) أبو الحسن أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين ، وابن عم الرسول — ﷺ — وصهره شجاع خطيب عالم بالقضاء صحابى جليل القدر . انظر ترجمته فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ٥٨٨/٣ والأعلام للزركلى ٢٩٥/٤

(٣) انظر أسباب النزول للواحدى ص ٢٤٠ بتحقيق العلامة : السيد أحمد صقر وتفسير البغوى ١٧/٣ والدر المنثور للسيوطى =

قال صاحب تفسير المنار[1] : تعقيباً على ذلك : والمراد أن هذه الآية تتضمن الرد على ذلك القول الذى كان يقوله ويفخر به العباس وغيره من كبراء المشركين لا أنها نزلت عند ما قال ذلك القول . لأجل الرد عليه فى أيام بدر من السنة الثانية من الهجرة . بل نزلت فى ضمن السورة بعد الرجوع من غزوة تبوك »[2] .

= ٢١٩/٣ عن ابن عباس — رضى الله عنه — والبحر المحيط ١٨/٥ وزاد المسير لابن الجوزى ٤٠٧/٣ - ٤٠٨

(١) هو رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين البغدادى الحسينى (١٢٨٢ — ١٣٥٤ هـ) عالم بالتفسير والحديث والأدب والتاريخ من مؤلفاته (تفسير المنار) .
انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى ١٢٦/٦

(٢) انظر تفسير المنار ٢٤٩/١٠

المبحث الثالث

المفردات وبيان المراد منها

١ — (ما كان للمشركين) الشرك اسم فاعل من أشرك ، وهو الكفر وقد أشرك فلان بالله فهو مشرك[١] .

وأشرك بالله : جعل له شريكا فى ملكه تعالى الله عن ذلك .

قال تعالى حكاية عن عبده لقمان أنه قال لابنه : « يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم »[٢] .

والشرك : أن يجعل لله شريكا فى ربوبيته . تعالى الله عن الشركاء والأنداد ، وإنما دخلت التاء فى قوله : « لا تشرك بالله » لأن معناها : لا تعدل به غيره فتجعله شريكا له[٣] .

وشرك الإنسان فى الدين ضربان :

أحدهما : الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى : يقال أشرك فلان بالله ، ودلك أعظم الكفر . قال تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به »[٤] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهرى ٤ / ١٥٩٣ - ١٥٩٤ مادة (شرك) ولسان العرب لابن منظور ١٠ / ٤٤٩ - ٤٥٠ مادة (شرك) .

(٢) سورة لقمان آية ١٣ .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٤٤٩

(٤) سورة النساء آية ١١٦

والثانى : الشرك الأصغر : وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله تعالى : « شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون »[١] . وقوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »[٢] .

وقال بعضهم معنى قوله : « إلا وهم مشركون » أى واقعون فى شرك الدنيا أى حبالها . قال : ومن هذا ما قاله عليه السلام . الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفاء »[٣] . [٤] .

وقد اختلف المفسرون فى المراد بالمشركين على قولين :

القول الأول : ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بلفظ المشركين يتناول عبدة الأوثان ، والأصنام خاصة ، لأن لفظ المشرك يشمل كل من اتخذ مع الله إلهاً آخر ، وإن كانوا كفاراً[٥] .

والقول الثانى : أن لفظ المشركين يشمل جميع الكفار من عبدة

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩٠

(٢) سورة يوسف آية ١٠٦

(٣) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ثم قال : « رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبى على ووثقه ابن حبان » .

(٤) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى ص ٢٦٦ .

(٥) انظر تفسير الطبرى ١٠ / ٩٣ وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣ / ٣٧١

الأوثان والأصنام، ومن أهل الكتاب، ويدل على ذلك قوله تعالى: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء»[١] فأطلق لفظ الإشراك بالله تعالى على الكفر.

ورجحه الإمام الفخر الرازى فى تفسيره فقال: «وهو المختار»[٢].

وهذا المذهب هو الصواب — والله أعلم — لموافقته لظاهر هذه الآية. ولقوله تعالى أيضا: «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله»[٣]. ثم قال فى آخر الآية: «سبحانه عما يشركون»، وهذه الآية صريحة فى أن اليهودى والنصرانى مشرك[٤].

٢ — (أن يعمروا) عمرت الدار عمراً بنيتها، والاسم العمارة بالكسر.

والعمارة نقيض الخراب.

يقال: عمر فلان أرضه يعمرها عمـــارة: إذا تعهدها بالخدمة والإصلاح والزراعة[٥].

---

(١) سورة النساء آية ٤٨.
(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٦/٥٦
(٣) سورة التوبة آية ٣٠
(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٦/٥٦ وقد صحح هذا القول بالدلائل الكثيرة.
(٥) انظر المصباح المنير ٢/٥٨٧ مادة (عمر).
ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفانى ص ٣٥٩

وقرأ الجمهور (يعمروا) بفتح الياء، وضم الميم، من عمر يعمر.

وفى قراءة[١]: بضم الياء وكسر الميم (يعمر) أى يجعلوه عامراً، أو يعينوا على عمارته[٢].

وأما المراد بعمارة المساجد فى الآية الكريمة: ففيه قولان:

أحدهما: أن المراد بعمارة المساجد: العمارة الحسية من بنائها، وتشييدها، وترميمها، وقمها، وتنظيفها، وتزيينها بالفرش على وجه لا يشغل قلب المصلى عن الحضور، وتنويرها بالسرج، ونحو ذلك[٣].

ويدل على ذلك قوله — ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى له مثله فى الجنة»[٤].

---

(١) قال أبو حيان قرأ بها ابن السميقع. انظر البحر المحيط ٥/١٨
(٢) انظر تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٥/١٨
والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٨/٤٠٨
(٣) انظر تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٥/١٩ وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٠٨ وروح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى ١٠/٦٦
والتفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبه الزحيلى ١٠/١٣٨ - ١٣٩
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الصلاة باب من بنى مسجداً ١/١٢٢
ومسلم فى صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل بناء المساجد والحث عليها ٢/٦٨ من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه.

ومعنى الحديث : أن من بنى مسجداً سواء كان كبيراً أو صغيراً ، وابتغى بذلك رضاء الله تعالى ، وأخلص النية لله تعالى دون سواه من الخلق بنى الله له مثله فى الجنة ، وإسناد البناء إلى الله مجاز ، وأبراز الفاعل فيه لتعظيم ذكره جل اسمه ، أو لئلا تتنافر الضمائر ، أو يتوهم عوده على بانى المسجد[١] .

وقال الإمام النووى[٢] : « يتحمل قوله - ﷺ - مثله أمرين :

أحدهما : أن يكون معناه بنى الله تعالى له مثله فى مسمى البيت : وأما صفته فى السعة وغيرها فمعلوم فضلها أنهـــا مما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

الثانى : أن معناه : أن فضله على بيوت الجنة كفضل المسجد على بيوت الدنيا »[٣] .

ومن الأحاديث الدالة على ذلك عن أبى هريرة[٤] - رضى الله عنه -

---

(١) انظر فتح البارى ١ / ٥٤٥ - ٥٤٦ بتصرف .

(٢) هو يحـــيى بن شرف بن مرى بن حسن النووى الشافعى (٦٣١ - ٦٧٦هـ) أبو زكريا محيى السنة عالم بالحديث والفقه واللغة . انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٧٠ وطبقات الشافعية ٨ / ٣٣٥ وشذرات الذهب ٧ / ٣٧٨

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ١٤ - ١٥

(٤) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى (٢١ ق ٥٠ هـ - ٥٩ هـ) أبو هريرة صاحب رسول الله - ﷺ - وحافظ الصحابة صحابى جليل القدر كثير الرواية . انظر ترجمته فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ٣ / ٣٥٧

أن رجلا أسود أو امرأة سوداء - كان يقم المسجد ، فمات فسأل النبى ﷺ عنه فقالوا مات قال: أفلا كنتم آذنتمونى به ، دلونى على قبره أوقال قبرها - فأتى قبره فصلى عليه »[١] .

وهذا الحديث يدل على كنس المسجد ، والتقاط الخرق والقذى والعيدان من المسجد[٢] .

وقال الحافظ[٣] ابن حجر : « وفى الحديث فضل تنظيف المسجد »[٤]

والثانى : أن المراد بعمارة المساجد العمارة المعنوية : وتشمل على عمارة المساجد بالصلاة ، وإدامة العبادة ، والذكر ، ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك ، وصيانتها مما لم تبن له فى نظر الشارع ، كحديث الدنيا[٥] .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحة كتاب الصلاة باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان ١/١٢٤

ومسلم فى صحيحه كتاب الجنائز باب الصلاة على القبر ٣/٥٦ من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -

(٢) انظر فتح البارى ١/ ٥٥٢ — ٥٥٣

(٣) هو أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣ — ٨٥٢هـ) أبو الفضل شهاب الدين الإمام الحافظ العلامة المشهور من مؤلفاته (فتح البارى شرح صحيح البخارى) انظر ترجمته فى حسن المحاضرة ١/٣٦٣ وشذرات الذهب ٧/٢٧٠ والضوء اللامع ٢/٣٦ والبدر الطالع ١/٨٧ — ٩٣

(٤) انظر فتح البارى ١/٥٥٣

(٥) انظر تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٥/١٩

ومما يدل على ذلك قوله - ﷺ - « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ... ظله » ومنهم : « شاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق فى المساجد »[١] .

قال الحافظ ابن حجر : « خص الشاب لكونه مظنة غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى ، فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل على غلبة التقوى »[٢] .

ومعنى قوله : معلق فى المساجد ، ظاهره أنه من التعليق ، كأنه شبهه بالشيء المعلق فى المسجد كالقنديل مثلا بإشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجاً عنه .

ويحتمل أن يكون من العلاقة ، وهى شدة الحب ، وهذه الخصلة هى المقصودة من هذا الحديث للترجمة ، ومناسبتها للركن الثانى من الترجمه ، وهو فضل المساجد ظاهرة ، وللأول من جهة مادل عليه من الملازمة للمسجد ، واستمرار الكون فيه بالقلب وإن عرض للجسد عارض[٣] .

= والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٨ /٩٠—٩١
وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣ /٤٠٨
وروح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى ١٠ /٦٥

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأذان باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ١ /١٦٨ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) انظر البارى ٢/١٤٥

(٣) انظر فتح البارى ٢ /١٤٥ بتصرف

ويدل على ذلك أيضاً مارواه أبو هريرة عن النبى ﷺ قال : « من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أوراح »[١] قال الحافظ ابن حجر : « وظاهر الحديث حصول الفضل لمن أتى المسجد مطلقاً لكن المقصود منه إختصاصه بمن يأتيه للعبادة ، والصلاة رأسها »[٢] .

وذكر الإمام الجصاص[٣] أن عمارة المساجد تطلق على المعنيين : زيارته والكون فيه والآخر بنائه وتجديد ماالسترم منه ، وأن اللفظ القرآنى يحتمل ذلك فقال :

« فاقتضت الآية منع الكفار من دخول المساجد ، ومن بنائها ، وتولى مصالحها والقيام بها لانتظام اللفظ للأمرين »[٤] .

وهذا هو الراجح - والله أعلم - أن المراد بالعمارة : الحسية والمعنوية لأنه الأظهر ، وعليه الأكثر .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأذان باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح ١/١٦٨ ومسلم فى صحيحه كتاب المساجد باب فضل الجلوس فى مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ٢/١٣٢

(٢) انظر فتح البارى ٢ /١٤٨

(٣) هو أحمد بن على الرازى الجصاص (٣٠٥— ٣٧٠هـ) أبو بكر الإمام الحجة العلامة من مؤلفاته (أحكام القرآن) انظر ترجمته فى العبر ٢/١٣٣—١٣٤ والجواهر المضية ٣/٨٤ والأعلام للزركلى ١/١٧١

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٨٧ وأحكام القرآن للكيا الهراس ١/٣٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٨/٩٠ — ٩١ وأحكام القرآن لابن العربى ٢/٩٠٦—٩٠٧ =

٣ — [مساجد الله] المسجد والمسجد : واحد المساجد[١] والمسجد : كل موضع يتعبد فيه ، قال ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً »[٢] .

والمسجد : اسم لبيت الله تعالى :

ومسجد : بفتح الجيم ، محراب البيوت ، ومصلى الجماعات مسجد ، بكسر الجيم ، والمساجد جمعها[٣] .

وقوله : « مساجد الله » قرأ أبو عمرو[٤] ، ، ، ،

= وتفسير البحر المحيط لأبى حيان ١٩/٥

وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٠٨/٣

وفتح البيان فى مقاصد القرآن ٤ / ٩٢ لصديق حسن خان وتفسير آيات الأحكام للسايس ٣٥/٢

(١) انظر الصحاح للجوهرى ٤٨٤/٢ — ٤٨٥

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الصلاة باب قول النبى ﷺ جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ١١٩/١ من حديث جابر بن عبد الله -رضى الله عنه- ومسلم فى صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٦٤/٢ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

(٣) انظر لسا العرب لابن منظور ٢٠٤/٣ — ٣٠٥

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين ابن الحارث بن جلهم بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم (٠٠ — ٥٧ أ) انظر ترجمته فى البيان والتبيين للجاحظ ٣٢١/١ ومعرفة القراء الكبار للذهبى ٨٤/١ وغاية النهاية فى طبقات العراء لابن الجزرى ٢٨٩/١

وابن كثير[١] : بالإفراد ، فيكون المراد به : المسجد الحرام ، لأنه أشرف المساجد فى الأرض ، ولأنه قبلة المساجد كلها ، فلا يجوز للمشركين دخوله ، أو الخدمة فيه .

وقرأ الجمهور « مساجد الله » بالجمع ، فيكون المراد من المساجد جميعها ، لأنها جمع مضاف فى سياق النفى ، فيعم سائر المساجد ، ويدخل فيه المسجد الحرام دخولياً أولياً ، لأن تعميره مناط افتخارهم ، وأهم مقاصدهم وهذه القراءة أكد فى النفى ؛ لأن نفى الجمع : يدل على النفى عن كل فرد ، فيلزم نفيه عن الفرد المعين بطريق الكناية ، كما لو قلت : فلان لا يقرأ كتب الله ، فإن قولك هذا نفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك[٢] .

قال الإمام القرطبى[٣] « والقراءة « مساجد » أصوب ، لأنه يحتمل المعنيين وقد أجمعوا على قراءة قوله : « إنما يعمر مساجد الله »[٤] ،

---

(١) هو عبد الله بن كثير المكى مولاهم الفارسى الأصل الدارى العطار [٠٠ — ١٢٠ هـ] قارىء أهل مكة المكرمة : انظر ترجمته فى العبر ١١٦/١ وسير أعلام النبلاء ٣١٨/٥ والتاريخ الكبير ١٨١/٥

(٢) انظر تفسير الطبرى ١٠ / ٩٣ وتفسير البحر المحيط لأبى حيان ١٨/٥ — ١٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٨٩/٨

وكتاب الاقناع فى القراءات السبع لابن الباش ٦٥٧/٢ بتصرف

(٣) هو محمد بن أحمد القرطبى [٠٠ — ٦٧١ هـ] أبو عبد الله المفسر الفقيه العلامة من مؤلفات [الجامع لأحكام القرآن] انظر ترجمته فى شذرات الذهب ٣٣٥/٥ وطبقات المفسرين للداوودى ٣٢٢/٥

(٤) سورة التوبة آية ١٨

على الجمع[1] .

وهذا القول هو الراجح — والله أعلم — وهو الظاهر من الآية الكريمة ، لأن صيغة اللفظ تفيد العموم فتشمل جميع المساجد : المسجد الحرام وغيره من المساجد .

٤ — (شاهدين) :

الشهادة : خبر قاطع ، تقول منه شهد الرجل على كذا ، وربما قالوا : شهد الرجل ، بسكون الهاء للتخفيف وقولهم : شهد بكذا : أى حلف[2] .

وشهد الشاهد عند الحاكم أى بين ما يعلمه وأظهره[3] .

٥ — (بالكفر) الكفر بالضم مقابل الإيمان ، وأصله من الكفر بفتح الكاف مصدر بمعنى الستر والتغطية ، ومنه قول الشاعر :

فى ليلة كفر النجوم غمامها

أى سترها . ومنه سمى الليل كافراً ، لأنه يغطى كل شىء بسواده ومنه قيل للزارع كافر ، والجمع كفار ، قال تعالى : « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » يعنى الزراع ، لأنهم يغطون الحب ، وشاع استعماله فى ستر النعمة خاصة ، كأن المنعم عليه قد غطى النعمة بجحوده لها قال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد »[4] .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٨٩/٨

(٢) أنظر الصحاح للجوهرى ٤٩٤/٢ مادة (شهد) .

(٣) أنظر لسان العرب لابن منظور ٢٣٨/٣ — ٢٣٩ مادة (شهد)

(٤) سورة إبراهيم آيه ٧

وشاع استعماله كذلك فى مقابل الإيمان ، لأن فيه ستر الحق ونعم الفيض[1] .

ويستعمل فى الشرع : فى عدم الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، فكل من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة فهو كافر[2] .

قال شيخ الاسلام[3] ابن تيمية — رحمه الله تعالى : « وهو عدم الإيمان باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه ، وتكلم به ، أو لم يعتقد شيئاً ، ولم يتكلم »[4] .

وقال الإمام ابن الجوزى[5] — رحمه الله تعالى — : « ذكر أهل التفسير أن الكفر فى القرآن على خمسة أوجه :

---

(١) أنظر الصحاح للجوهرى ٨٠٧/٢ مادة (كفر) ولسان العرب لابن منظور ١٤٤/٥ مادة (كفر) .

(٢) أنظر روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ١٢٦/١ — ١٢٧ ودراسات فى التفسير للأستاذ الدكتور أمين باشا ص ٧٧

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيميه الحرانى الحنبلى (٦٦١ — ٧٢٨ هـ) أبو العباس الإمام شيخ الإسلام من مؤلفاته (الفتوى) أنظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤ وشذرات الذهب ٨٠/٦ — ٨٦

(٤) أنظر مجموع الفتاوى للإمام ابن تيميه ٨٦/٢٠

(٥) هو عبد الرحمن بن على بن محمد القرشى أبو الفرج المشهور =

أحدها : الكفر بالتوحيد : ومنه قوله تعالى فى البقرة : « إن الذين كفروا سواء عليهم أءنذرتهم أم لم تنذرهم »[١] :

والثانى : كفرات النعمة : ومنه قوله تعالى فى البقرة : « واشكروا لى ولا تكفرون »[٢] :

والثالث : التبرؤ : ومنه قول تعالى فى العنكبوت : « ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض »[٣] أى يتبرأ بعضكم من بعض .

والرابع : الجحود ، ومنه قوله تعالى فى البقرة : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به »[٤] .

والخامس : التغطية : ومنه قوله تعالى فى الحديد : « أعجب الكفار نباته »[٥] يريد الزراع الذين يغطون الحب[٦] .

وقوله : [شاهدين على أنفسهم بالكفر][٧] حال من الواو فى قوله : « يعمروا » .

= بابن الجوزى (٥٠٨ — ٥٩٧ هـ) عالم بالتفسير والحديث والوعظ والإرشاد من مؤلفاته (زاد المسير فى علم التفسير) أنظر ترجمته فى البداية والنهاية ٣١/١٣ — ٣٣ ووفيات الأعيان ٣٢١/٢

(١) سورة البقرة آيه ٦
(٢) سورة البقرة آيه ١٥٢
(٣) سورة العنكبوت آية ٢٥
(٤) سورة البقرة آيه ٨٩
(٥) سورة الحديد آيه ٢٠
(٦) أنظر نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى ١١٩/٢ — ١٢٠
(٧) سورة التوبة آية ١٧

وفائدة المجىء بهذه الجملة الإشعار بأن كفرهم كفر صريح ، وأنهم يعترفون به اعترافاً لا يملكون إنكاره ، ولا يسعهم إلا إقراره .

والمعنى : لا ينبغى ولا يصح للمشركين أن يعمروا مساجد الله التى بنيت لعبادة الله وحده ، وذلك لأن هؤلاء المشركين قد شهدوا على أنفسهم بالكفر شهادة نطقت بها ألسنتهم وأيدتها أعمالهم[١] .

قال الإمام الفخر الرازى — رحمه الله تعالى — : وذكروا فى تفسير هذه الشهادة وجوهاً ، أذكر منها :

الأول : وهو الأصح أنهم أقروا على أنفسهم بعبادة الأوثان وتكذيب القرآن ، وإنكار نبوة محمد — ﷺ — وكل ذلك كفر ، فمن يشهد على نفسه بكل هذه الأشياء فقد شهد على نفسه بما هو كفر فى نفس الأمر ، وليس المراد أنهم شهدوا على أنفسهم بأنهم كافرين .

الثانى : أن شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، هو أن النصرانى إذا قيل له من أنت ، فيقول : نصرانى واليهودى يقول : يهودى ، وعابد الوثن يقول : أنا عابد الوثن .

الثالث : أنهم كانوا يطوفون عراة ، يقولون : لا نطوف عليها

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٩٣/١٠
وتفسير البحر المحيط لأبى حيان ١٨/٥ — ١٩
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧١/٣
وروح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ٦٦/١٠

بثياب عصينا الله فيها ، وكلما طافوا شوطاً سجدوا للأصنام ، وكانوا يقولون : لبيك لاشريك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك[١] .

٦ — « حبطت أعمالهم » أى بطلت وفسدت ، وأصل الحبط فساد يلحق المواشى فى بطونها من كثرة أكلها الكلأ السام فتلتفخ بطونها ، وربما تموت من ذلك[٢] .

والمراد بحبوط أعمالهم : إزالة آثارها النافعة من ثواب فى الآخرة ، لأنهم عملوها وهم لايرجون لله وقاراً ، فهولاء انتفخت أعمالهم ، وورمت وابنعجت ثم انتهت إلى الهلاك والضياع[٣] .

ومن ذلك أعمالهم التى كانوا يفخرون بها مثل العمارة ، والحماية والسقاية ، لأنها مع الكفر لا قيمة لها[٤] .

٧ — « من آمن بالله » الإيمان بمعنى التصديق ، يتعدى بنفسه لواحد يقال أمنته ، ويتعدى إلى اثنين بالهمزة ، تقول آمنتنيه غيرى ويتعدى باللام كما فى قوله تعالى : « أنؤمن لك واتبعك الأرذلون »[٥] .

---

(١) انظر التفسير الكبير ١٦ / بتصرف .

(٢) انظر الصحاح للجوهرى ٣ / ١١١٨ مادة (حبط)
ولسان العرب لابن منظور ٧ / ٢٦٩ - ٢٧٠ مادة (حبط)

(٣) انظر فتح الرحمن فى تفسير سورة آل عمران للإستاذ الدكتور أمين باشا ص ١٨٦

(٤) انظر تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٥ / ١٩ وروح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ١٠ / ٦٥ .

(٥) سوره الشعراء آية ١١١

وقوله تعالى : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم »[١] . « فما آمن لموسى »[٢] .

وذلك لتضمينه معنى الإذعان ، ويتعدى بالباء ، كما فى قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه »[٣] . وكما فى هذه الآية : « من آمن بالله »[٤] ، وكما فى قوله - ﷺ - (الإيمان أن تؤمن بالله ...)[٥] الحديث .

وذلك لتضمينه معنى الاعتراف والإقرار ، إشارة إلى أن التصديق لايعتبر مالم يقترن به الاعتراف[٦] .

والإيمان فى الشرع : التصديق بما علم بمجيء النبى - ﷺ - به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا ، وإجمالا فيما علم إجمالا ، وهذا مذهب جمهور المحققين[٧] .

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٣ .
(٢) سورة يونس آية ٨٢ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥ .
(٤) سورة التوبة آية ١٨ .
(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب الإيمان ماهو وبيان خصاله ١ / ٣٠ من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - .
(٦) انظر الصحاح للجوهرى ٥ / ٢٠٧١ مادة (أمن) ومعجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى ص ٢٢ والكشاف للزمخشرى ١ / ١٢٦ وروح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى للألوسى ١ / ١١٠ ودراسات فى التفسير للأستاذ الدكتور أمين باشا ص ٥١ - ٥٢ .
(٧) انظر روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ١ / ١١٠ .

وقد بينه النبي - ﷺ - بقوله : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر .. »[١] الحديث .

والمعنى اللغوى لايخرج عن المعنى الشرعى ، وقد جرى أسلوب القرآن الكريم على أن الإيمان هو التصديق ، إلا أنه تصديق خاص .

قال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله »[٢] .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً »[٣] .

والإيمان حين يذكر طريق للنجاة لايذكر إلا مقروناً بالعمل الصالح .

قال تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا »[٤] .

وقال تعالى : « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »[٥،٦] .

---

(١) سبق تخريجه عند معنى الإيمان فى اللغة .
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ .
(٣) سورة النساء آية ١٣٦ .
(٤) سورة الكهف آية ٣٠ .
(٥) سورة العصر .
(٦) انظر دراسات فى التفسير للأستاذ الدكتور أمين باشا ص ٥٢-٥٣

والمقصود هنا : إنما يعمر مساجد الله المصدق بوحدانية الله تعالى : المخلص له العبادة[١] .

أى ليس المشركون أهلا لعمارة مساجد الله ، وإنما الذين هم أهل لذلك المؤمنون الصادقون الذين آمنوا بالله حقاً ، وآمنوا باليوم الآخر ، وما فيه من ثواب وعقاب .

٨ — « اليوم الآخر » الأخرى والآخرة دار البقاء ، صفة غالبة[٢] .

وآخر يقابل به الأول ، وآخر يقابل به هو الواحد ، ويعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية ، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى نحو قوله تعالى : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان »[٣] ، وربما ترك ذكر الدار نحو قوله تعالى : « أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار »[٤] وقد توصف الدار الآخرة تارة ، وتضاف إليها تارة نحو قوله تعالى : « وللدار الآخرة خير للذين يتقون »[٥] . وقوله تعالى : « ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون »[٦] وتقدير الإضافة : دار الحياة الآخرة[٧] .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١٠ / ٩٤ .
(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ٤ / ١٤ مادة « أخر » .
(٣) سورة العنكبوت آية ٦٤
(٤) سورة هود آية ١٦
(٥) سورة الأنعام آية ٣٢
(٦) سورة النحل آية ٤١
(٧) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى ص ٩

والمراد به هنا : يوم القيامة ، وسمى آخراً لأنه اليوم الذى لا يوم بعده[١] .

٩ — « وأقام الصلاة » الصلاة فى اللغة الدعاء ، من صلى يصلى إذا دعا ، واستعملها الشارع فى العبادة ذات الركوع والسجود ، لاشتمالها على الدعاء .

ومعنى أقام من الإقامة . يقال : أقمت الشىء إقامة إذا وفيته حقه .

قال تعالى : « يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل »[٣] أى توفوا حقهما بالعلم والعمل .

ومعنى إقامة الصلاة : تعديل أركانها ، وحفظها من أن يقع فى شىء من فرائضها ، وسننها ، وآدابها زيغ ، من أقام العود إذا قومه وعدله .

أو المراد : الدوام والمحافظة عليها . كما قال تعالى : « والذين هم على صلاتهم دائمون »[٤] ، « والذين هم على صلواتهم يحافظون »[٥] .

من قامت السوق إذا نفقت ، وأقمتها إذا جعلتها نافقة .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١٠ / ٩٤

(٢) انظر الصحاح للجوهرى ٦/٢٤٠٢ مادة « صلا » ، ولسان العرب لابن منظور ١٤ / ٤٦٤ - ٤٦٦ مادة « صلاة »

(٣) سورة المائدة آية ٦٨

(٤) سورة المعارج آية ٢٤

(٥) سورة المؤمنون آية ٩

أو المراد : التجلد ، والتشمر لأدائها من غير فتور عنها ، ولا توان من قولهم : قام الأمر وأقامه إذا جد فيه .

أو آداؤها ، فعبر عن الأداء بالإقامة ، لأن القيام بعض أحكامها .

والأول : من هذه المعانى هو الأظهر ، لأنه الأشهر ، وإلى الحقيقة أقرب والمعانى الأخرى مرتبة عليه ، ولازمة له .

والمعنى : أى يؤدون الصلاة فى أوقاتها المقدرة لها مستوفية لواجباتها وسننها ، وآدابها ، وخشوعها ، فإن الصلاة المقامة بحق هى التى يصحبها الإخلاص ، واستحضار جلال الله فى الركوع والسجود وهى التى تترتب عليها الآثار العظيمة من تزكية النفس وعفافها ، وتركها لكل الشرور والآثام[١] .

قال الإمام الفخر الرازى - رحمه الله تعالى - : « والسبب فيه أن المقصود الأعظم من بناء المساجد إقامة الصلوات ، فالإنسان مالم يكن مقراً بوجوب الصلوات امتنع أن يقدم على بناء المساجد »[٢] .

١٠ — « وآتى الزكاة » زكى ماله تزكية أى أدى عنه زكاته ، وتزكى أى تصدق ، وزكا الزرع يزكو زكاء ممدود أى نما[٣] .

والمراد بالزكاة هنا : الزكاة المفروضة على الوجه الذى بينته السنة المطهرة .

---

(١) انظر روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ١ / ١١٥

ودراسات فى التفسير للأستاذ الدكتور أمين باشا ص ٥٥ - ٥٦

(٢) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ١٦ / ٩

(٣) انظر الصحاح للجوهرى ٦ /٢٣٦٨ مادة « زكا »

ولسان العرب لابن منظور ١٤/٣٥٨ - ٣٥٩ مادة « زكا »

والمعنى : وأدى الزكاة الواجبة عليه فى ماله إلى من أوحيها الله له[1] وإيتاء الزكاة يكون بإعطائها لمستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم ممن ذكرهم الله تعالى فى قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم[2] .

١١ — (ولم يخش إلا الله) خشى الرجل خشية أى خاف[3] .

والخشية أخص من الخوف فهى خوف مقرون بمعرفة[4] .

وقال الراغب الأصفهانى :

« والخشية خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ، ولذلك خص العلماء بها فى قوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »[5] ، [6] .

والمراد هنا : ولم يخف إلا من الله . ولم يخش سواه[7] .

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٩٤/١٠

(٢) سورة التوبة آية ٦٠

(٣) انظر الصحاح للجوهرى ٢٣٢٧/٦ مادة (خشي) .
ولسان العرب لابن منظور ٢٢٨/١٤ - ٢٢٩ مادة (خشى) والمصباح المنير ٢٣٣/١

(٤) انظر التحفة للإمام ابن تيمية ص ٢٣٣ بتحقيق الدكتور / يحيى محمد الهنيدى .

(٥) سورة فاطر آية ٢٨

(٦) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى ص١٤٩

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٢/٣

١٢ — (فعسى) عسى من أفعال المقاربة ، وفيه طمع وإشفاق ، ولا يتصرف ، لأنه وقع بلفظ الماضى لما جاء فى الحال[1] .

قال الجوهرى[2] : « وعسى من الله واجبة فى جميع القرآن إلا فى قوله : « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله »[3] .

وقال غيره : عسى من الله إيجاب ، فجاءت على إحدى لغتى العرب ، لأن عسى فى كلامهم رجاء ويقين .

وأنشد قول الشاعر :

ظنى بهم كعسى وهم بتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال

أى ظنى بهم يقين[4] .

وقد ذكر المفسرون فى معنى [عسى] فى القرآن الكريم وجوها ذكرها الإمام الفخر الرازى ، ولعل أحسنها ما ذكره حيث قال :

وأحسن الوجوه ما ذكره صاحب الكشاف[5] وهو أن المراد منه

---

(١) انظر الصحاح للجوهرى ٢٤٢٥/٦ - ٢٤٢٦ مادة « عسا » ولسان العرب لابن منظور ٥٤/١٥ مادة « عسا » .

(٢) هو إسماعيل بن حماد الجوهرى [٠٠ - ٣٩٣ هـ] عالم فى اللغة والأدب من مؤلفاته [الصحاح فى اللغة] انظر ترجمته فى لسان الميزان ٤٠٠/١ - ٤٠١ ونزهة الألباء ص ٣٤٤ والأعلام للزركلى ٣١٣/١

(٣) انظر الصحاح للجوهرى ٢٤٢٦/٦ مادة [عسا] .

(٤) انظر الصحاح للجوهرى ٢٤٢٦/٦ مادة [عسا] ولسان العرب لابن منظور ٥٤/١٥ مادة [عسا] .

[٥] هو جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى [٤٦٧-٥٣٨هـ]

تبعيد المشركين عن مواقف الاهتـــداء ، وحسم أطماعهم فى الانتفاع بأعمالهم التى استعظموها ، وافتخروا بها ، فإنه تعالى بين أن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع ، وضموا إليه الخشية من الله ، فهؤلاء صار الاهتداء لهم دائراً بين - لعل وعسى - فما بال هؤلاء المشركين يقطعون بأنهم مهتدون ، ويجزمون بفوزهم بالخير من عند الله تعالى ، وفى هذا الكلام ونحوه لطف بالمؤمنين فى ترجيح الخشية على الرجاء »[١] .

١٣ — [من المهتدين] الهدى : الرشاد والدلالة ، يؤنث ويذكر .

يقال هداه الله للدين هدى ، وقوله تعالى : [أو لم يهد لهم][٢] أى أولم يبين لهم[٣] .

والمراد هنا : فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب[٤] .

= عالم بالدين والتفسير واللغة والأدب إلا أنه كان يظهر المذهب الاعتزالى فى تفسيره [الكشاف] ويناظر عليه .

انظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢٦٥/٣ وتذكرة الحفاظ ١٢٣٨/٤ وميزان الاعتدال ٤ / ١٨ والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٧٤ ووفيات الأعيان ٢٥٤/٤

[١] انظر التفسير الكبير ١٠/١٦ - ١١
والكشاف للزمخشرى ١٨٠/٢

[٢] سورة السجدة آية ٢٦

[٣] انظر الصحاح للجوهرى ٢٥٣٣/٦ مادة [هدى] .
ولسان العرب لابن منظور ٣٥٣/١٥ - ٣٥٤ مادة [هدى] .

[٤] انظر تفسير الطبرى ٩٤/١٠

فإن أولئك هم المفلحون[١] .

أى فعسى أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة من الإيمان بالله واليوم الآخر ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة أن يكونوا من المهتدين إلى الجنة ، وما أعد فيها من خير عميم ، ورزق كبير .

وهذا التذييل قصد به حسن عاقبة المؤمنين الصادقين .

---

[١] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٣/٣

المبحث الرابع

المعنى الإجمالى

يبين الله - عزوجل - فى هذا النص الكريم : أنه لا ينبغى للمشركين بالله تعالى - أبداً أن يعمروا مساجد الله التى بنيت على العبادة لله وحده ، لاشريك له[1] ، فيقول تبارك وتعالى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر »[2] وانتصب [شاهدين ، على الحال أى والحال أنهم شهدوا على أنفسهم بالكفر شهادة نطقت بها ألسنتهم ، وأيدتها أعمالهم ، فهم لا ينطقون بكلمة التوحيد ، وإنما ينطقون بالكفر ، والإشراك ، وهم لا يعملون أعمال المؤمنين ، وإنما يعملون الأعمال القبيحة التى تدل على إصرارهم على باطلهم ، كسجوده للأصنام عقب الطواف بالكعبة .

والمعنى : ما استقام لهم أن تجمعوا بين أمرين متناقضين ، عمارة متعبدات الله تعالى ، مع الكفر به وبعبادته[3] .

فإن هذا جمع بين الضدين ، فعمارة المساجد الحسية أو المعنوية لا تصح إلا من المسلم الموحد بالله الذى يعبد الله وحده ، والكفر بالله

---

[1] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٧١

[2] سورة التوبة آية ١٧

[3] انظر تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٥/١٩

والاشراك به يتنافى مع عبادة الله وحده ، والقيام على المساجد خصوصاً مسجد الله الحرام[1] .

ثم يبين النص القرآنى الكريم أن ماقام به المشركون من عمارة المساجد لا يثابون عليها ماداموا على الكفر والشرك بالله فقال تعالى :

« أولئك الذين حبطت أعمالهم »[2] أى بطلت ، وذهبت أجورها لأنها لم تكن لله تعالى بل كانت للشيطان[3] .

ويدل على ذلك قوله تعالى : « وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً »[4] .

ثم يوضح عزوجل مصيرهم ونتيجة أمرهم ، وسوء عاقبتهم فيقول :

« وفى النار خالدون »[5] أى ماكثون فى النار أبداً ، لا أحياء ولا أمواتاً[6] .

وذلك بسبب كفرهم واصرارهم على باطلهم .

أى أولئك المشركون الشاهدون على أنفسهم بالكفر قد فسدت أعمالهم التى كانوا يفخرون بها مثل العمارة ، والحجابة ، والسقاية ، لأنها

---

(١) انظر التفسير الواضح للأستاذ الدكتور / محمد حجازى ١٠/٣٣

(٢) سورة التوبة آية ١٧

(٣) انظر تفسير الطبرى ١٠/٩٣

(٤) سورة الفرقان آية ٢٣

(٥) « التوبة آية ١٧

(٦) انظر تفسير الطبرى ١٠/٩٣

مع الكفر لاقيمة لها ، ولا خير يرجى من ورائها ، واستحقوا بذلك الخلود فى نار جهنم ، والعياذ بالله العزيز الحكيم .

وبعد أن بين الله تعالى أن المشركين ليسوا أهلا لعمارة المساجد بين أن الذين هم أهل لذلك إنما هم المؤمنون الصادقون الذين آمنوا بالله إيماناً حقاً وآمنوا باليوم الآخر ، وما فيه من ثواب وعقاب ، وآمنوا بما فرضه الله عليهم من فرائض فأدوها بالكيفية التى أرشدهم إليها نبيهم - ﷺ - فهم فى صلاتهم خاشعون ، وللزكاة مؤدون بسخاء وإخلاص وهم بجانب ذلك لايخشون أحداً إلا الله فى تبليغ ما كلفوا بتبليغه من أمور الدين ، ولا يقصرون فى العمل ، ويلتزمون بفعل المأمورات واجتناب المنهيات .

هذا وقد وصفت الآية الثانية الذين يعمرون مساجد الله بصفات خمس هى :

١ — الإيمان بالله تعالى : أى الإيمان بالله فى ربوبيته ، وفى عبادته ووحدانيته وفى اعتقاده أنه هو النافع الضار ، الرافع الخافض ، المعز المذل القابض الباسط القاهر فوق عباده الذى الاتعنو الوجوه إلا له ولا يتجه الوجوه إلا إليه[1] .

وهذا الإيمان هو الذى يسمو بالإنسان إلى المكانة السامية التى أرادها الله تعالى له ، ويرفعه إلى الدرجات العالية ، ويعصمه من الزلل والخطأ ، وينيرك مسالك الطريق ، ويهديه فى جميع أموره ، وأحواله ، إنه أساس كل عمل فلا تقبل أى عمل إلا به ، ولهذا فإن عمارة المساجد لا تقبل من الكافرين ، لأنها قامت على غير أساس الايمان بالله تعالى .

---

(١) انظر تفسير القرآن الكريم للإمام محمود شلتوت ص ٨١ — ٨٢

٢ — الإيمان باليوم الآخر : أى يؤمنون إيماناً جازماً باليوم الآخر ، وما فيه من بعث ، وثواب وعقاب ، وأن كل إنسان سيجازى على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »[1] .

والإيمان باليوم الآخر يوم الجزاء على الأعمال هو معنى يغرس فى النفوس محبة الخير ، والحرص على إسداء المعروف ، وكراهة الشر وتجنب الأذى ، والإفساد فى الأرض . ذلك أنه إذا استقرت فى النفوس عقيدة البعث . وأن هناك داراً أخرى يحاسب فيها الإنسان على ماقدمت يداه لاستقامت أمورهم . وكثر فيهم الخير والإحسان وقل بينهم الشر ، والفساد وكان ذلك مدعاة للعمل الصالح ، وكل مايعود على المجتمع بالصلاح ، والفلاح والأمن والاستقرار .

وقد عنى القرآن الكريم عناية عظمى بتقرير الإيمان باليوم الآخر وناقش فيه ، وأقام عليه الحجج ، والبراهين وضرب الأمثال . وأقسم عليه ، وسفه أحلام المنكرين له ، المتعجبين من وقوعه ، وكلمانجد سورة من سور القرآن الكريم إلاوتذكر البعث . وتقرر أمره ، وتقيم الأدلة على صدقه ، ووقوعه ونفى الشبه عنه ، وبيان حكمته ، وأهميته ، والدعوة إلى الإيمان به[2] .

٣ — إقامة الصلاة : أى يؤدونها فى أوقاتها مقومة الأركان مستوفية

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧ — ٨

(٢) انظر تفسير القرآن الكريم للإمام محمود شلتوت ص ٨٢ بتصرف .

ودراسات فى التفسير للأستاذ الدكتور أمين باشا ص ٧٤ — ٧٥

لواجباتها ، وسننها ، وآدابها ، وخشوعها ، والصلاة على النحو الذى شرعه الله من أفضل مايعبر عن الشعور بعظمة المعبود . وشديد الحاجة إليه . وهى صلة بين العبد وربه ، ولما للصلاة فى أثر فى تهذيب النفوس وتطهر القلوب والسمو بها إلى الملكوت الأعلى : أيات الله تعالى عظيم أثارها بقوله تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »[١] وجعلها النبى ﷺ عماد الدين وبين أن من أقامها فقد أقام الدين . ومن تركها فقد ترك الدين وقد أمر الله تعالى بإقامتها بقوله : « وأقيموا الصلاة »[٢] .

وبالمحافظة والدوام عليها بقوله: « والذين هم على صلواتهم يحافظون »[٣] وبقوله : « الذين هم على صلاتهم دائمون »[٤] وبأدائها فى أوقاتها المحددة لها بقوله : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا »[٥] وبأدائها فى جماعة بقوله : « واركعوا مع الراكعين »[٦] وبالخشوع فيها بقوله « الذين هم فى صلاتهم خاشعون »[٧]، [٨] .

وقد بين القرآن الكريم أثرها فى تهذيب النفوس ووقايتها من الفحشاء والمنكر قال تعالى: « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »[٩]

---

[١] سورة العنكبوت آية ٤٥
[٢] « البقرة آية ٤٣
[٣] « المؤمنون ٩
[٤] « المعارج آية ٢٢
[٥] « النساء آية ١٠٣
[٦] « البقرة آية ٤٣
[٧] سورة المؤمنون آية ٢
[٨] انظر دراسات فى التفسير للأستاذ الدكتور أمين باشا ص ٦٩-٧٠
[٩] سورة العنكبوت آية ٤٥

كما بين أنها تطهر الإنسان من غرائز الشر التى تفسد عليه حياته ، قال تعالى : « إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون »[١] .

وفى مقابل هذا كله جعل تركها عنواناً للإنغماس فى الشهوات وسبيل الوقوع فى الغى والضلال ، وسبباً من أسباب الخلود فى النار قال تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً »[٢] .

وقال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر قالوا لم نكن من المصلين ولم نكن نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين »[٣] الآيات

٤ — إيتاء الزكاة : أى يؤدون الزكاة المفروضة لمستحقيها الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »[٤] .

لقد اقتضت حكمة الله تعالى — ابتلاء لخلقه — أن يجعل فيهم الفقير والغنى . وأن يربط الفقير بالغنى برباط أخـــوة الدين ، والإنسانية ، وأن يكلف الغنى بمقتضى ذلك الرباط أن يسد حاجة الفقير حقاً فى ماله ،

---

(١) سورة المعارج آية ١٩
(٢) « مريم آية ٥٩
(٣) « المدثر ٤٢
(٤) سورة التوبة آية ٦٠

وواجباً دينياً فى ذمته قال تعالى : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »(١) .

وبذلك يكمل التعاون ، وتطهر القلوب ، وتصفو النفوس من الأحقاد والتى يولدها الجشع ، وينميها الشح .

والمتأمل فى القرآن الكريم يجد أنه عنى عناية فائقة بالحث على الإنفاق فى وجوه الخير ، ومدح الذين يفعلون ذلك ، وأثنى عليهم فى كثير من الآيات وحارب فى النفوس الشح والإسراف والترف ، وعمل على تطهير الجماعة المسلمة منها ، وأعد النفوس للبذل والعطاء للقيام بحق الله وحق الناس ، وكان له فى ذلك من أساليب الترغيب فى البذل ، الترهيب من الضن والشح ما يملأ قلب المؤمن بمبدأ التضحية ، وأنها سبيل الله فى الحياة الطيبة التى تكفل للفرد والجماعة السعادة فى الدنيا والآخرة (٢) .

وبهذا نرى أن الزكاة فى الإسلام ليست إلا صرف بعض أموال الأمة — ممثلة فى أغنيائها — إلى الأمة نفسها ممثلة فى فقرائها ، ولعل هذا ما يوحى به القرآن الكريم حيث يقول : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »(٣) .

ويوحى به كذلك قول الرسول — ﷺ — فيما قاله لمعاذ(٤) :

---

(١) سورة الذاريات آيه ١٩

(٢) انظر دراسات فى التفسير للأستاذ الدكتور أمين باشا ص ٧٠—٧١ بتصرف .

(٣) سورة التوبة ٣٣

(٤) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب =

« إن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »(١) .

وكما أن للصلاة نوافلها فللزكاة أيضاً نوافلها كما يقول الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود(٢) : « وللزكاة نوافلها ، وهى الصدقة بجميع أنواعها : صدقة الوقت ، وصدقة الجاه ، وصدقة المال ، وصدقة القول ، وصدقة الزكاة وصدقة كل نعمة أنعم الله بها على العبد ، وهى الإنفاق من النعمة »(٣) .

٥ — الخشية والخوف من الله وحده أى لا يخشى أحداً إلا الله تعالى

قال الإمام محمود(٤) شلتوت : « والخوف على قسمين : خوف العقاب ، وخوف العظمة والجلال ، وخوف العظمة والجلال لا يفارق

= الأنصارى الخزرجى [٠٠ - ١٨ هـ] صحابى جليل القدر ، كان معلماً للخير مطيعاً لله عز وجل ولرسوله - ﷺ - أنظر ترجمته فى أسد الغابه ٤/٤١٨ — ٤٢١

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ٢/١٣٠ ومسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشائع الدين والدعاء إليه ١/٣٧-٣٨

(٢) هو عبد الحليم محمود الإمام فضيلة الدكتور شيخ الأزهر سابقاً من مؤلفاته [الإسلام والإيمان] ، [والإسلام والعقل] .

(٣) أنظر كتاب الإسلام والإيمان للإمام الدكتور عبد الحليم محمود ص ٥٥

(٤) هو محمود شلتوت الإمام فضيلة الشيخ شيخ الأزهر سابقاً من مؤلفاته : [تفسير القرآن الكريم] و [الإسلام عقيدة وشريعة]

قلب المؤمن ، لأنه يرى بإيمانه أن الله غنى وما سواه محتاج ، قوى وما سواه عاجز ، عالم مطلع على خفيات النفوس ، وما سواه جاهل لا يحيط بشيء من علمه ، فإذا استحضر الإنسان فقره وحاجته وضعفه وعجزه وجهله أمام عظمة الغنى القوى المحيط بكل شيء امتلأت نفسه ، وقلبه بوجل الهيبة والجلال ، والعظمة والجمال ، سواء تذكر عصياناً يخشى عقابه ، أم تذكر طاعة يرجو ثوابها »[١] .

وقد جاء ذكر الخوف والخشية فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية فى مواضع كثيرة فأمر الله تعالى جميع المكلفين بالخوف والخشية .

فقال تعالى : « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين »[٢] .

وقال تعالى : « فلا تخشوهم واخشونى »[٣] .

وقد جعل الله تعالى أهل الخوف والخشية من أولى الألباب قال تعالى : « إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر به الله أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب »[٤] .

وجمع الله لأهل الخوف الهدى ، والرحمة فى قوله تعالى : « هدى

---

(١) أنظر تفسير القرآن الكريم للإمام الشيخ محمود شلتوت ص ٥٦٩

(٢) سورة آل عمران آيه ١٧٥

(٣) سورة البقرة آيه ١٥٠

(٤) سورة الرعد الآيه ١٩ — ٢١

ورحمة للذين هم لربهم يرهبون »[١] .

ووعد الله أهل الخشية والخوف بالمغفرة ، والأجر الكبير . والجنات والرضوان فى قوله تعالى : « إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير »[٢] .

وقوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان »[٣] .

إن الخوف والخشية من أعمال القلوب . وهى من لوازم الإيمان وشرطه . ودليل على صحته قال تعالى : « وخافون إن كنتم مؤمنين »[٤] .

فالخوف والخشية من أنواع العبادة القلبية التى يجب صرفها لله وحده لا شريك له . وصرفها لغير الله شرك قال تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »[٥] .

أما الخوف والخشية الطبيعية كالخوف من عدو . أو سبع . أو هدم . أو غرق فهذا ليس من العبادة فى شيء . لأنه خوف طبيعى . كالذى ذكره الله عن موسى — عليه السلام فى قوله تعالى : « فخرج منها

---

[١] سورة الأعراف آيه ١٥٤

[٢] سوره الملك آيه ١٢

[٣] سورة الرحمن آيه ٤٦

[٤] سورة آل عمران آيه ١٧٥

[٥] سورة التوبة آيه ١٨

خائفاً يترقب »[١] وكقول إبراهيم الخليل — عليه السلام — لما رأى أيدى الملائكة لا تصل إلى الطعام للأكل منه فقال : « إنا منكم وجلون »[٢] أى خائفون[٣] .

ثم بين تعالى حسن عاقبة المؤمنين الصادقين فقال تعالى : « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »[٤] أى فعسى أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة من الإيمان بالله ، واليوم الآخر . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة والخشية من الله وحده . أن يكونوا من المهتدين إلى الخير فى الدنيا وإلى الجنة . وما أعد فيها من خير عميم . وأجر عظيم فى الآخرة[٥] .

قال العلامة الألوسى[٦] :

وإبراز اهتدائهم لذلك مع ما بهم من تلك الصفات الجليلة فى معرض

---

[١] سورة القصص آيه ٢١

[٢] « الحجر آيه ٥٢

[٣] انظر التحفة العراقية لابن تيمية ص ٢٤٠ — ٢٤١ بتحقيق الدكتور / يحيى بن محمد الهنيدى بتصرف .

[٤] سورة التوبة آيه ١٨

[٥] انظر التفسير الواضح للأستاذ الدكتور محمد حجازى ١٠/٣٤

[٦] هو محمود بن عبد الله الحسينى الألوسى شهاب الدين أبو الثناء [١٢١٧ — ١٢٧٠ هـ] المفسر المحدث الأديب العلامة من مؤلفاته [روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى] انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى ٧/١٧٦ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ١٢/١٥

التوقع لحسم أطماع الكافرين عن الوصول إلى مواقف الاهتداء . لأن هؤلاء المؤمنين وهم — هم — إذا كان أمرهم دائر بين لعل وعسى فما بال الكفرة ببيت المخازى والقبائح[١] . . .

وفيه قطع الكمال بالمؤمنين على أعمالهم . وما هم عليه ، وإرشادهم إلى ترجيح جانب الخوف على الرجاء ، وهذا هو المناسب للمقام لا الأطماع »[٢] .

وهؤلاء الموصفون بهذه الصفات الجليلة هم الذين يقتصر عليهم عمارة المساجد الحسية بالبناء والتشييد ، والترميم ، والمعنوية بالعبادة والأذكار ، وحضور دروس العلم .

وقد أكدت السنة المطهرة استحقاقهم بعمارة المساجد الحسية ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله ، بنى له مثله فى الجنة »[٣] .

كما أكدت السنة المطهرة استحقاقهم أيضاً بالعمارة المعنوية ومن ذلك ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله

---

[١] انظر روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ١٠/٦٦ بتصرف

[٢] انظر روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ١٠/٦٦ بتصرف .

[٣] سبق تخريجه فى ص ١٦ من هذا البحث .

يوم لا ظل إلا ظله ... ، ومنهم : « شاب نشأ فى عبادة ربه »
ورجل قلبه معلق فى المساجد ... »[١] ، [٢] .

• • •

[١] سبق تخريجه فى ص ٢٠ من هذا البحث .

[٢] انظر تفسير البحر المحيط لأبى حيان ١٨/٥ وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٠٨/٣
والتفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبه الزحيلى ١٣٨/٨٠ — ٣٩ بتصرف ١ .

المبحث الخامس

وجوه البلاغة والاعجاز القرآنى

لقد اشتملت آيتا عمارة المساجد وجوهاً من البلاغة والإعجاز القرآنى ، ومن ذلك مايلى :

١ — أطلق بعض العلماء - رحمهم الله تعالى - المساجد ، وأرادبه المسجد الحرام ، أما باعتبار أن كل مكان منه مسجد ، وأما لأن قبلة المساجد كلها ، وإمامها فكان عامره عامر المساجد ، وهذا من اطلاق العام وإرادة الخاص ويحتمل أن يراد الجميع فيدخل تحته المسجد الحرام .

قال الإمام أبو حيان : « وهو آكد ، لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت : فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءة القرآن من تصريحك بذلك »[١] .

٢ — المراد بالشهادة فى قوله تعالى : « شاهدين على أنفسهم بالكفر »[٢] الشهادة على وجه الحقيقة ، وليس على سبيل المجاز كما ذهب إليه بعض العلماء ، لأنه لا يحمل اللفظ على المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة[٣] .

(١) انظر تفسير البحر المحيط لأبى حيان ١٩/٥
(٢) سورة التوبة آية ١٧
(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٨/١٦

٣ — ما فى اسم الإشارة فى قوله تعالى : « أولئك »[١] فى معنى البعد فللإذان ببعد منزلتهم فى فظاعة الحال ، وبعدهم عن الطريق المستقيم . والخلق القويم ، أى أولئك المتصفون بتلك الصفات الشنيعة بطلت أعمالهم وسقطت عن خير الاعتبار ، حيث لم تدفع العذاب ، ولم ينالوا بسببها الثواب[٢] .

٤ — فى قوله تعالى : « وفى النار هم خالدون »[٣] فى الجملة الإسمية مع تقديم الظرف المتعلق بالخبر تأكيد لمضمونها[٤] .

٥ — خص الإيمان بالله واليوم الآخر بالذكر لأنهما المقصود الأعظم من الإيمان . فإن من آمن بالله آمن بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وشرائعه ، ومن علم أنه تعالى إليه المرجع والمصير استعد لذلك بالأعمال الصالحة ، فكأن من آمن بالله وآمن باليوم الآخر قد حاز الإيمان من قطريه ، وأحاطوا به من طرفيه المبدأ والمعاد .

٦ — خص إقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر لأنهما عمودا الإسلام فالصلاة العبادة البدنية التى تؤكد حسن صلة العبد بخالقه . والزكاة هى العبادة المالية التى تؤلف بين قلوب الموسرين والمعسرين .

٧ — قدم إقامة الصلاة على إيتاء الزكاة لأنها تنهى عن الفحشاء

---

(١) سورة التوبة آية ١٧

(٢) انظر فتح الرحمن فى تفسير سورة آل عمران للأستاذ الدكتور أمين باشا ص ١٨٥

(٣) سورة التوبة آية ١٧

(٤) انظر فتح القدير للشوكانى ٢ / ٣٦٤

والمنكر ، ولأنها تتكرر فى اليوم خمس مرات ، ولأنها صلة بين العبد وربه . والزكاة صلتها بالناس ، ولأن مشروعيتها سابقة مشروعية الزكاة .

٨ — أفاد الحصر فى قوله تعالى : « إنما يعمر مساجد الله . . . » أن عمارة المساجد مقصورة على من آمن بالله ، واليوم الآخر . وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله . ولا تتعداه إلى غيره .

٩ — فإن قيل : لِمَ لم يذكر الإيمان برسول — ﷺ — والإيمان لا يتم إلا به ؟

فالجواب : أن فيه دليلا على الرسول — ﷺ — لقوله تعالى : « وأقام الصلاة »[١] أى الصلاة التى جاء بها الرسول ﷺ[٢] .

١٠ — فإن قيل : كيف قال : « ولم يخش إلا الله »[٣] والمؤمن قد يخاف الظلمة والمفسدين . ؟

فالجواب : أن المراد من هذه الخشية الخوف . والتقوى فى باب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره[٤] .

١١ — فإن قيل : « فعسى »[٥] ترج . وفاعلى هذه الخصال مهتد بلا شك .

---

(١) سورة التوبة آية ١٨

(٢) انظر زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣ / ٤٠٨ . والكشاف للزمخشرى ٢ / ٢٥٥ .

(٣) سورة التوبة آية ١٨

(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ١٦ / ١٠ والكشاف للزمخشرى ٢ / ٢٥٥ .

(٥) سورة التوبة آية ١٨

فالجواب : أن « عسى » من الله واجبة قاله ابن عباس .[1]

١٢ — فإن قيل : يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات :

فالجواب : أن المراد أنه من كان على هذه الصفات المذكورة كان من أهل عمارتها . وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفات[2] .

(١) انظر زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣ / ٤٠٨ - ٤٠٩ .
(٢) المراجع السابق ٣ / ٤٠٩

المبحث السادس

الأحكام الشرعية المستنبطة الآيتين

اشتملت هاتان الآيتان على بعض الأحكام . أوجزها فيما يلى :

١ — أن أعمال البر الصادرة عن المشركين كإطعام الطعام ، وإكرام الضيف وغيرها ، لا وزن لها عند الله تعالى ، ولا خير يرجى من وراثها لاقترانها بالكفر والإشراك بالله تعالى .

قال تعالى : « وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً »[1][2] .

٢ — أن عمارة مساجد الله تعالى من المؤمنين وحدهم دون غيرهم ، وقد دل على أداة الحصر (إنما) أما المشركون فلا يقبل الله منهم ذلك بسبب كفرهم ونجاستهم .

قال الإمام الجصاص : « فاقضت الآية منع الكفار من دخول المساجد ومن بنائها ، وتولى مصالحها ، والقيام بها لانتظام اللفظ للأمرين »[3] .

٣ — التنويه بشأن بناء المساجد . وتنظيفها . والسعى إليها . واحترامها وصيانتها عن كل مايتنافى مع الغرض الذى بنيت من أجله ، وقد وردت

(١) سورة الفرقان آية ٢٣
(٢) سورة تفسير آيات الأحكام للسايس ٣ / ٣٧ والتفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلى ١٠ / ١٤٠ .
(٣) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٨٧

أحاديث كثيرة فى هذا المعنى أشرت إلى بعضها فى بيان المراد بعمارة المساجد فى هذا البحث[١] .

يقول الإمام النووى - رحمه الله تعالى - « ليس بناء المساجد وعمارتها ، وتعهدها ، وإصلاح ما تشعث منها . . »[٢] .

٤ — النهى عن زخرفة المساجد :

إن السنة فى بنيان المساجد القصد ، وترك الغلو فى تحسينه ، فقد كان عمر[٣] - رضى الله عنه - مع كثرة الفتوح فى أيامه ، وسعة المال عنده لم يغير المسجد عما كان عليه ، وإنما احتاج إلى تجديده ، لأن جريد النخل كان قد نخر فى أيامه ، ثم كان عثمان[٤] - رضى الله عنه -

---

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٨٧ وتفسير البحر المحيط لأبى حيان ٥ / ١٨ - ١٩ وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٠٨ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٨ / ٩٠ - ٩١

(٢) انظر المجموع شرح المهذب للنووى ٢ / ١٨٣ .

(٣) هو عمر بن الخطاب العدوى القرشى « ٠٠ - ٢٣هـ » أمير المؤمنين أبو حفص الفاروق وزير رسول الله - ﷺ - صحابى جليل القدر من المبشرين بالجنة انظر ترجمته فى أسد الغابة ٤ / ١٤٥ والإصابة ٢ / ٥١١ وتذكرة ١ / ٥ وشذرات الذهب ١ / ٣٣ والنجوم الزاهرة ١ / ٧٨ .

(٤) هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية الأموى « ٤٧ ق ٥٠ - ٣٥ هـ » أمير المؤمنين ذو النورين من السابقين إلى الإسلام وثالث الخلفاء الراشدين ومن العشرة المبشرين بالجنة صحابى جليل القدر .

انظر ترجمته فى العبر ١ / ٢٦ والإصابة ٦ / ٣٩١ وتهذيب التهذيب ٧ / ١٣٩ - ١٤٢

والمال فى زمانه أكثر فحسنه بما لا يقتضى الزخرفة ومع ذلك فقد أنكر بعض الصحابه عليه[١] .

ذكره الحافظ ابن حجر ثم قال :

« وأول من زخرف المساجد الوليد[٢] بن عبد الملك بن مروان ، وذلك فى أواخر عصر الصحابة ، وسكت كثير من أهل العلم عن إنكاره خوفاً من الفتنة ورخص فى ذلك بعضهم - وهو قول أبى حنيفة[٣] - إذا وقع ذلك على سبيل التعظيم للمساجد ، ولم يقع الصرف على ذلك من بيت المال »[٤] .

---

(١) قال البغوى : « لعل الذى كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة لا مجرد توسيعه » انظر فتح البارى ١ / ٥٤٤

وقال النووى : « يكره زخرفة المسجد ، ونقشه وتزينه للأحاديث المشهورة ، ولئلا تشغل قلب المصلى » انظر المجموع شرح المهذب للنووى ٢ / ١٨٣

(٢) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو العباس الأموى « ٤٨ - ٩٦ هـ » من ملوك الدولة الأموية فى الشام ولى الملك بعد والده سنة « ٨٦ هـ » وهو أول من أحدث المستشفيات فى الإسلام وبنى مسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموى . انظر ترجمته فى العبر ١ / ٨٥ وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤٧ وتاريخ اليعقوبى ٣ / ٢٧

(٣) هو النعمان بن ثابت الكوفى التيمى بالولاء « ٨٠ - ١٥٠ هـ » إمام الحنفية وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة فقيه مجتهد محقق من مؤلفاته « مسند فى الحديث » انظر ترجمته فى العبر ١ / ١٦٤ والبداية والنهاية ١٠ / ١١٠ - ١١١ وسير أعلام النبلاء ٦ / ٣٩٠

(٤) انظر فتح البارى ١ / ٥٤٠ - ٥٤١

وقال ابن[1] المنير رحمه الله تعالى : « لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها: ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صوناً لها عن الاستهانة »[2].

قال الحافظ ابن حجر — رحمه الله تعالى — : « وتعقب بأن المنع إن كان للحث على اتباع السلف فى ترك الرفاهية فهو كما قال : وإن كان لخشية شغل بال المصلى بالزخرفة فلا لبقاء العلة »[3] .

ولعل الأحسن بناء المساجد بمتانة وقوة . والاهتمام بذلك مع ترك الغلو والمبالغة فى زخرفتها ، حتى لا تشغل المصلى عن صلاته .

وقد ورد النهى عن زخرفتها عن ابن[4] عباس - رضى الله عنه :

---

(١) هو أحمد بن محمد بن منصور بن مختار بن أبى بكر بن على أبو العباس المعروف بابن المنير المالكى « ٠٠ - ٦٨٣ هـ » الإمام الفقيه المفسر المحدث من مؤلفاته « البحر الكبير فى نخب التفسير » .
انظر ترجمته فى حسن المحاضرة للسيوطى ١ / ٣١٦ وفوات الوفيات ١ / ١٣٢ والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٦١ وطبقات المفسرين للداوودى ١ / ٨٩ - ٩١ .

(٢) انظر فتح البارى ١ / ٥٤١ .

(٣) انظر المرجع نفسه .

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى « ٣ ق . هـ - ٦٨ هـ » صحابى جليل القدر ومحدث فقيه علامة .
انظر ترجمته فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ٢ / ٢٠٢ وتهذيب التهذيب ٥ / ٢٧٦ - ٢٧٩ وتقريب التهذيب ١ / ٤٣٢ والأعلام للزركلى ٤/٩٥

« لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى »[1] .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى : « والزخرفة الزينة »[2] .

ومن ذلك مايوضع للزينة فى بعض المساجد من اللوحات ، والصور والكتابات .

وقد تكلم على هذا الموضع ، وفصل القول فيه الشيخ الأستاذ / خير[3] الدين وانلى فى كتاب المسجد فى الإسلام - أحكامه - آدابه - بدعه -[4] .

٥ — هل يجوز استخدام الكافر فى بناء المساجد :

ذكر المفسرون - رحمه الله تعالى - فى حكم استخدام الكافر فى بناء المساجد قولين :

القول الأول : منع الكفار من دخولها وبنائها ، وتولى مصالحها ، والقيام بها مطلقاً .

---

(١) ذكره البخارى تعليقاً فى صحيحه كتاب الصلاة باب بنيان المساجد ١ / ١٢١
قال الحافظ ابن حجر : « وهذا التعليق وصله أبو داود وابن حبان من طريق يزيد بن الأصم عن ابن عباس هكذا مرفوعاً » انظر فتح البارى ١ / ٥٤٠

(٢) انظر فتح البارى ١ / ٥٤٠ .

(٣) هو خير الدين وانلى (فضيلة الشيخ الأستاذ) من مؤلفاته المسجد فى الإسلام - أحكامه - آدابه - بدعه - .

(٤) انظر المسجد فى الإسلام ص ١٥ ، ١٩ ، ٣١ ، ٣٢ .

ذهب إلى ذلك الإمام الجصاص[١] وغيره .

والقول الثانى : أن الممنوع منها إنما هو الولاية عليها ، والاستقلال بالقيام بمصالحها ، كأن يكون ناظر المسجد وأوقافه كافراً .

وأما استخدام الكافر فى عمل لا ولاية فيه ، كنحت الحجارة ، والبناء والنجارة ، فلا يظهر دخوله فى المنع ، ولا فيما ذكر من نفى الشأن . ذكره الشيخ السايس[١] فى تفسيره[٢] .

ورجحه فضيلة الأستاذ الدكتور/وهبه[٣] الزحيلى فى تفسيره وذكر أن هذا القول هو الأصح[٤] .

ولعل الأولى أن يتولى المسلمون بناء المساجد ، وجميع ما يتعلق بها ، وأن يبعد الكافر عن بنائها وجميع ما يتعلق بها ، لاختصاص المسلمين بعمارتها الحسية والمعنوية كما دل على ذلك القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ولا يسمح للكافر ببنائه فقط إلا عند الضرورة القصوى

---

(١) هو محمد على السايس [فضيلة الأستاذ الشيخ العلامة] الأستاذ بكلية الشريعة الإسلامية فى القاهرة جامعة الأزهر من مؤلفاته : [تفسير آيات الأحكام] .

(٢) انظر تفسير آيات الأحكام للسايس ٣٦/٣

(٣) هو : وهبه الزحيلى الأستاذ الدكتور العلامة رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبة فى جامعة دمشق من مؤلفاته [التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج] .

(٤) انظر التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبه الزحيلى ١٤٠/١٠

لعدم توفر المسلم الذى يجيد البناء ، أو تعذر وصول المسلم إليه . والله أعلم .

٦ — هل يصح للكافر أن يبنى مسجداً للمسلمين ، أو يوصى ببنائه .

أشار إلى هذه القضية الأستاذ العلامة : محمد رشيد رضا فى تفسيره فقال :

فإن قيل : قد وقع من بعض الحكام والأفراد من غير المسلمين أن بنى مسجداً للمسلمين . ومنهم من أوصى بمال لعمارة مسجد لهم لمصلحة له فى ذلك . قلت : إن هذا لا يعارض ما فسرنا به نفى هذا الشأن . ولا مانع عليه من الحكم . وللمسلمين أن يقبلوا مثل هذا المسجد وهذه الوصية بشرط : أن لا يكون فيهما ضرر آخر دينى ولا سياسى .

ومثل لذلك بقوله : « فلو عرض اليهود على المسلمين فى هذا العصر أن يعمروا المسجد الأقصى بترميم ما كان تداعى أو ضعف من بنائه . أو بذلوا لهم مالا لذلك لما جاز لهم أن يقبلوا هذا . ولا ذاك .

وإن لم يتول اليهود العمل . لما علم من طمعهم فى الاستيلاء على هذا المسجد . والتوسل له بما يجعلونه ذريعة لادعاء حق لهم فيه على كفرهم بعيسى ومحمد — عليهما الصلاة والسلام — وكتابيهما . وقولهم على مريم بهتاناً عظيما »[١] .

ووافقه على ذلك الشيخ العلامة السايس فى تفسيره[٢] .

---

(١) انظر تفسير المنار ٢٠٨/١٠

(٢) انظر تفسير آيات الأحكام للسايس ٣٦/٣

وكذا الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره فقال :

« ولا مانع أيضاً من قيام الكافر ببناء مسجد . أو المساهمة في نفقاته بشرط ألا يتخذ أداة للضرر . وإلا كان حينئذ كمسجد الضرار ولكن ليس للكافر ترميم المساجد حفاظاً على تعظيمها ولأن تطهير المساجد واجب لقوله تعالى : « أن طهرا بيتي للطائفين »[1] والكافر بخس الاعتقاد لقوله تعالى : « إنما المشركون نجس »[2] ولأنه لايحترز من النجاسات . فدخوله في المسجد ربما يؤدي إلى تلويثه . فتفسد عبادة المسلمين »[3] .

ولعل الأفضل إبعاد الكفار عن المساجد وعن بنائها . أو المشاركة فيها وكل ما يتعلق بها لاختصاص الأمة الإسلامية بعمارة المساجد . وجميع ما يتعلق بها إلا عند الضرورة القصوى على ما أجازوه أصحاب الفضيلة كما سلف .

٧ — هل يصح للكافر دخول المساجد ؟

اختلف المفسرون في حكم دخول الكافر المساجد على قولين :

(ا) يحرم على الكافر دخول المساجد مطلقاً واستدلوا بهذه الآية. يقول الإمام الجصاص في تفسيره : « فاقتضت الآية منع الكفار من المساجد . ومن بنائها والقيام بها لانتظام اللفظ للأمرين »[4] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥

(٢) سورة التوبة آية ٢٨

(٣) انظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور / وهبه الزحيلي ١٠/١٤٠ - ١٤١

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣/٨٧

(ب) يمنع الكافر من دخول المساجد بغير إذن المسلم ويجوز بإذنه :

يقول العلامة محمد صديق[1] خان : « يمنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى دخل عور وإن دخل بإذن لم يعور ولكن لابد من حاجة فيشترط للجواز : الإذن والحاجة ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالإذن أن النبي — ﷺ — شد ثمامة من أثال إلى سارية من سواري المسجد[2] وهو كافر والأولى تعظيم المساجد ومنعه من دخولها »[3] .

والأولى تعظيم المساجد ومنعه من دخولها كما ذكر فضيلة الشيخ ومحل التفصيل في هذه المسألة يأتي تحت قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »[4] .

---

(١) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري أبو الطيب [١٢٤٨ — ١٣٠٧ هـ] عالم مفسر من مؤلفاته [فتح البيان في مقاصد القرآن] .

انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٦/١٦٧

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب دخول المشرك المسجد ١/١٢٧

(٣) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان ٤/٩٢ من حديث أبي هريرة — رضي الله عنه .

(٤) سورة التوبة آية ٢٨

الخـــاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد

فقد انتهيت بفضل الله وتوفيقه من هـذا البحث ، واتضح لى من خلال الدراسة والبحث مايلى .

١ ــ إن جميع أعمال البر الصادرة من المشركين لاتجلب لهم ثواباً فى الآخره ، ولا تدفع عنهم عذاباً .

٢ ــ بيان أن كل من اتصف بالإيمان بالله ورسوله ــ ﷺ ــ واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، ولم يخشى أحداً إلا الله فإنهم الجديرون بعمارة المساجد دون غيرهم ، وهم أهل الاهتداء إلى الخير والصراط المستقيم .

٣ ــ ينبغى لمن بنى مسجداً أن يخلص لله فى بنائه ، وأن لايكون الباعث له على بنائه الرياء والسمعة .

٤ ــ الترغيب فى عمارة المساجد ، وبيان فضلها كما دلت على ذلك الآية والأحاديث النبوية السابقة[1] .

٥ ــ منع الكافر من دخول المساجد ، ومن بنائها ، وتولى مصالحها ،

---

(١) انظر تفسير آيات الأحكام للسايس ٣/٣٧
والتفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبه الزحيلى ١٠/ ١٤٩

والقيام بها لانتظام اللفظ ــ أى العمارة ــ للأمرين ، وهما الدخول والبناء[1] .

٦ ــ أن المساجد يجب صونها عن كل مالا يتناسب مع الغرض الذى بنيت من أجله ، وذلك مثل فضول الحديث ، وإصلاح مهمات الدنيا[2] .

هذا ونسأله الله العلى القدير أن يغفر لنا ولجميع المسلمين وأن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على نبينا محمد . وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص ٣/٨٧
والتفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبه الزحيلى ١٠ / ١٤١

(٢) انظر تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٥/١٩
وروح المعانى فى تفسير القرآن العظيم للآلوسى ١٠/٦٥
والتفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلى ١٠/١٤١

الفهارس العلمية الضرورية

١ — فهرس الآيات القرآنية .

٢ — فهرس الأحاديث النبوية .

٣ — فهرس الأعلام .

٤ — فهرس المصادر والمراجع .

٥ — فهرس الموضوعات .

١ — فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة

(أ)

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ٤٤

« أعجب الكفار نباته » ٢٦

« أن طهرا بيتى للطائفين » ٦٢

« إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ٢٦

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » ٢

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ٣٠

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ٤٢

« إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا » ٤٢

« إن الذين يخشون ربهم بالغيب » ٤٧

« إنما المشركون نجس » ٦٣/٦٢

« إنما الصدقات للفقراء » ٤٣/٣٤

« إنما يتذكر أولوا الألباب » ٤٦

« إنا منكم وجلون » ٤٨

« أنؤمن لك واتبعك الأرذلون » ٢٨

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » ٢٩

« أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار » ٣١

« أو لم يهد لهم » ٢٢

(ث)

« ثم يوم القيامة يكفر بعضهم بعضاً » ٢٦

٦٧

رقم الصفحة

(ش)

« شاهدين على أنفسهم » ٥١/٢٦
« خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » ٤٣
« فما آمن لموسى » ٢٩
« فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به » ٢٦
« فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ٤٧
« فخرج منها خائفا يترقب » ٤٦
« فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » ٤٧/٤٦
« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » ٤١

(ل)

« لئن شكرتم لأزيدنكم » ٢٤

(م)

« ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله » ١٢/٩/٨
« من آمن بالله » ٢٩

(هـ)

« هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » ٤٧

(و)

« وما يؤمن أكثرهم بالله » ١٥
« وقالت اليهود عزير ابن الله » ١٦
« واشكروا لى ولا تكفرون » ٢٦
« وإن الدار الآخرة لهى الحيوان » ٣١

رقم الصفحة

« وللدار الآخرة خير للذين يتقون » ٣١
« ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » ٣١
« وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » ٥٥
« وفى النار هم خالدون » ٥٢
« وأقام الصلاة » « وأقيموا الصلاة » ٤٢
« ولم يخشى إلا الله » ٣٤
« ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » ٣٠
« والعصر إن الإنسان لفى خسر » ٣٠
« والذين هم على صلواتهم يحافظون » ٤٢/٣٢
« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ٤٤
« واركعوا مع الراكعين » ٤٢
« ولمن خاف مقام ربه جنتان » ٤٧
« ولا تؤمن إلا لمن تبع دينكم » ٢٩

(ى)

« ياأهل الكتاب لستم على شىء » ٣٢
« يابنى لا تشرك بالله » ١٤

٢ – فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة

[أ]

« إن الله افترض عليهم صدقه » ٤٥

« الإيمان أن تؤمن بالله » ٣٠

[ج]

« جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » ٢٢

[س]

« سبعة يظلهم الله يوم لاظل إلا ظله » ٢٠/٥٠

[ش]

« الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفاء » ١٥

[م]

« من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله » ١٧/٤٩

« من غدا إلى المسجد وراح » ٢١

٣ – فهرس الأعلام

رقم الصفحة

[أ]

إبراهيم بن عمر البقاعى ١١

ابن الأثير ١٢

أحمد بن حنبل ١٥

أحمد بن تيمية ٢٥/٣٤/٤٨

الأصفهانى ١٥/١٦/٢٨/٣١/٣٤

إلكيا الهراسى ٢١

أمين محمد عطية باشا [فضيلة الأستاذ الدكتور] ٦/٢٥/٢٨/٢٩/٣٣/٤٢/٤٤/٥٢

الآلوسى ١٧/٢٠/٢٧/٢٩/٣٣/٤٩/٦٥

[ج]

الجصاص ٢١/٥٥/٦٢/٦٥

جابر بن عبد الله ٢٢

ابن الجوزى ١٣/١٧/٢٠/٢٦/٥١/٥٣/٥٤

الجوهرى ١٤/٢١/٢٤/٢٨/٢٩/٣٢/٣٣/٣٤/٣٥/٣٦

جلال الدين اسماعيل عجوة [فضيلة الأستاذ الدكتور] ٦

[ح]

أبو حيان ١٠/١٧/١٩/٢٢/٢٣/٢٧/٢٨/٢٩/٣٩/٥٠/٥٦/٦٥

ابن حجر ١٨/٤٩

رقم الصفحة

[خ]

خير الدين وانلى ٥٩

[د]

أبو داود ٥٩

الداودى ٥٩

[ذ]

الذهبى ٢٣

[ز]

الزركلى ٤٨/٣٥/٢١/١١

الزمخشرى ٥٣/٣/٥٢٩

[س]

السايس ٦٤/٦٠/٥٥/٢١

السيد صقر ١٢

ابن السميقع ١٧

السيوطى ٥٨/١٢/١١/١٠

[ش]

الشوكانى ٥٣

[ط]

الطبرانى ١٥

الطبرى ٣٩/٣١/٢٧/٢٣/١٥

رقم الصفحة

[ع]

ابن عباس ٥٨/١٢

العباس بن عبد المطلب ١٢

عبد الحليم محمود [فضيلة الأستاذ الدكتور] ٤٤

عثمان بن عفان ٥٦

ابن العربى ٢١

على بن أبى طالب ١٢

عمر بن الخطاب ٥٦

أبو عمرو ٢٢

عويد بن عياد المطرفى [فضيلة الأستاذ الدكتور] ٦

[ق]

القرطبى ٥٦/٢٤/٢٣/٢١/٢٠/١٧

ابن كثير المكى [قارىء مكة المكرمة] ٢٤

ابن كثير [المفسر] ٣٨/٣٧/٣٤/٢٧/١٥

[م]

الإمام محمد بن إسماعيل البخارى ٦٤/٥٩/٢٢/٢٠/١٦

محمد حجازى [فضيلة الأستاذ الدكتور] ٤٨/٣٩

محمد بن عمر الفخر الرازى ٥١/٣٦/٣٢/٣٣/٢٨/١٦

محمد رشيد بن على رضا ٦١/١٣

محمد صديق خان بن حسن ٦٣/٢٢

محمود شلتوت [فضيلة الشيخ الأستاذ] ٤٥/٤١/٤٠

الامام مسلم ٢٢/١٨

رقم الصفحة

أبو مسلم الأصفهانى ٣٧

ابن منظور ١٤/٢٢/٢٤/٢٥/٢٨/٣١/٣٤/٣٥/٣٦/٣٥/٣٦/٣٩

ابن المنير ٥٥

[ن]

النووى ٥٦/١٨

[هـ]

أبو هريرة ١٨/٢١/٢٢

الهيثمى ١٥

(و)

الوليد بن عبد الملك ٤٩

وهبه الزحيلى [فضيلة الأستاذ الدكتور] ١٧/٥٠/٥٥/٦٠/٦٢/٦٤/٦٥

[ى]

يزيد بن الأصم ٥٩

٤ — فهرس المصادر المراجع

• القرآن الكريم .

[ا]

• أحكام القرآن للامام ابن العربى تحقيق على البجاوى ، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت لبنان .

• أحكام القرآن للإمام أبى بكر أحمد بن على الرازى الجصاص — دار الكتاب العربى — بيروت لبنان .

• أحكام القرآن للإمام عماد الدين محمد الطبرى المعروف بالكيا الهراسى ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣م .

• أسباب النزول للإمام الواحدى تحقيق الأستاذ / السيد صقر — دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة .

• أسد الغابه فى معرفة الصحابة للحافظ ابن حجر — دار الكتاب العربى بيروت .

• الإصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر — دار المعارف العثمانية ـ حيدر أباد — الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ .

• — الأعلام لخير الدين الزركلى — دار العلم للملايين ـ بيروت .

[ب]

• البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن كثير — الطبعة الأولى — دار الكتب العلمية — بيروت .

[ت]

• التحفة العراقية للإمام ابن تيمية تحقيق الدكتور يحيى بن محمد

ابن عبد الله الحنيدى مكتبة الرشد — الرياض — الطبعة الأولى ١٤٢١ — ٢٠٠٠ م .

[ش]

• شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لعبد الحى بن العماد الحنبلى المكتب التجارى / بيروت .

• الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة للإمام الحنبلى عبيد الله محمد بن بطة العكبرى تحقيق ودراسة الدكتور رضا بن نعسان معطى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م / المكتبة الفيصلية / مكة المكرمة .

[ص]

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الإسماعيل بن حماد الجوهرى / تحقيق أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين / بيروت .

• صحيح البخارى للإمام محمد بن إسماعيل البخارى / دار الباز / عباس أحمد الباز .

• صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى / دار الباز / عباس أحمد الباز .

• صحيح مسلم بشرح النووى / الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م .

[ض]

• الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى / دار مكتبة الحياة .

[ط]

• طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكى تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو و د / محمد محمود الطناحى / مطبعة عيسى الحلبى القاهرة ١٣٨٣ هـ

• البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن على الشوكانى الطبعة الأولى / دار السعادة / القاهرة .

[ت]

• التاريخ الكبير للإمام البخارى / دار الكتب العلمية بيروت .

• تذكره الحفاظ للحافظ الذهبى / الطبعة السابعة / الهند ١٣٨٨ هـ

• تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد على السايس حققه حسن السماحى وراجعه محيى الدين ديب / دار ابن كثير .

• تفسير البحر المحيط للإمام أبى حيان الأندلسى الغرناطى / الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

• تفسير الطبرى للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى / دار الفكر .

• تفسير البغوى للإمام الحسن بن مسعود البغوى / دار الفكر .

• تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير / دار الفكر .

• تفسير القرآن الكريم للإمام محمود شلتوت / دار الشروق الطبعة السابعة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

• التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى / دار الباز / عباس أحمد الباز .

• تفسير المنار لمحمد رشيد رضا / دار المعرفة للطباعة والنشر / لبنان / بيروت .

• التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج لفضيلة الأستاذ الدكتور / وهبه الزحيلى / دار الفكر المعاصر / بيروت لبنان / دار الفكر دمشق / سورية الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

• تقريب التهذيب للحافظ بن حجر / الطبعة الأولى / دار الفكر .

• تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر / الطبعة الأولى / دار الفكر .

[ج]

• الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد القرطبي / دار إحياء التراث العربي / بيروت .

• الجواهر المضية في طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر أبي الوفاء القرشي تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو / مكتبة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٨ هـ .

[ح]

• حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة عيسى الحلبي / الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ .

[د]

• دراسات في التفسير « من سورة البقرة » للأستاذ الدكتور أمين محمد عطيه باشا / الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م مطبعة الحسين الإسلامية ٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر .

• الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي / مطبعة دار الفكر .

[ر]

• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة محمود الآلوسي دار إحياء التراث العربي .

[ز]

زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي / المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

[س]

• سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي تحقيق أكرم البوشي / إشراف شعيب الأرناؤوط / مؤسسة الرسالة بيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

• الطبقات الكبرى للحافظ محمد بن سعد / دار صادر / بيروت .

[ع]

• العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي حققه وضبطه أبو هاجر محمد السعيد زغلول / دار الكتب العلمية بيروت .

[غ]

• غاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجوزي / عناية برجستراس القاهرة ١٩٣٢ م .

[ف]

• فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر — دار المعرفة بيروت .

• فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة محمد صديق خان — مطبعة العاصمة شارع الفلكي القاهرة .

• فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للإمام الشوكاني دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م .

• فتح الرحمن في تفسير سورة آل عمران للاستاذ الدكتور أمين محمد عطيه باشا مطبعة الحسين الإسلامية ٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر . الطبعة الأولى ١٤١١ هـ — ١٩٩ م .

[ك]

• كتاب الإقناع فى القراءات السبع تأليف أبى جعفر أحمد بن على ابن أحمد بن خلف الأنصارى تحقيق د/ عبد المجيد قطامش . مركز البحث العلمى وإحيـــاء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

• الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشرى — دار الفكر .

[ل]

• لسان العرب للإمام أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقى المصرى — دار صادر — بيروت ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .

[م]

• مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للامام الهيثمى — دار الكتاب العربى الطبعة الثالثة .

• المجموع شرح المهذب للشيرازى للإمام أبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى حققه وعلق عليه واكمله بعد نقصانه / محمد نجيب المطيعى التوزيع المكتبة العالمية بالفجالة ت ٩١١٣٧١ .

• مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية / جمع وترتيب / عبد الرحمن بن محمد النجدى الحنبلى طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين .

• معجم مفردات ألفاظ القرآن للعـــلامة الراغب الأصفهانى / دار الفكر .

• معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة / دار إحياء التراث العربى بيروت .

• معرفة القراء الكبار للحافظ الذهبى تحقيق محمد سيد جاد الحق القاهرة ١٩٦٩ .

• ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للحافظ الذهبى تحقيق على محمد البجاوى / دار المعرفة / بيروت .

[ن]

• النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ليوسف الأتابكى / المؤسسة العامة .

• نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر للإمام ابن الجوزى دائر المعارف العثمانية / حيدر آباد الهند / ١٣٩٤ هـ .

• نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى .

[و]

الوافى بالوفيان تأليف صلاح الدين خليل أيبك الصفدى الطبعة الثانية / دار فرانز شتاينر بفيسبادن ١٣٩٤ هـ .

• وفيات الأعيان وأبنا الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن خلكان تحقيق / د / إحسان عباس / دار صادر بيروت .